الفصل الثالث
نظرية مالتس وانتقاداتها من خلال منظور الاقتصاد الإسلامي

أولا: السكان في الاقتصاد الإسلامي:

يعتبر الزواج هو المدخل الرئيسي للسكان في الاقتصاد الإسلامي فالزوجية سنة من سنن الله في الخلق والتكوين، وهي عامة مطردة لا يشذ عنها عالم الإنسان أو الحيوان أو النبات، قال تعالى ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[سورة الذاريات: الآية ٤٩] ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

[سورة يس: الآية ٣٦]

- وهو الأسلوب الذي اختاره الله للتوالد والتكاثر واستمرار الحياة، بعد أن أعد كلا الزوجين وهيأهما بحيث يقوم كل منهما بدور إيجابي في تحقيق هذه الغاية بقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾[سورة الحجرات: الآية ١٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [سورة النساء: الآية ١] ولم يشأ الله أن يجعل الإنسان كغيره من العوالم فيدع غرائزه تنطلق.دون وعي ويترك اتصال الذكر بالأنثى فوضى لا ضابط له.

- بل وضع النظام الذي من شأنه أن يحفظ شرفه ويصون كرامته، فجعل اتصال الرجل بالمرأة اتصالًا كريمًا مبنيًا على رضاها وعلى إيجاب وقبول كمظهرين لهذا الرضا، وعلى إشهاد على أن كلا منهما قد أصبح للآخر، وبهذا وضع للغريزة سبيلها المأمون، وحمى النسل من الضياع، وصان المرأة ووضع نواة الأسرة التي تحوطها غريزة الأمومة وترعاها عاطفة الأبوة فتنبت نباتًا حسنًا وتثمر ثمارها اليانعة.

هذا النظام هو الذي ارتضاه الله وجاء به الإسلام وهدم كل ما عداه. وقد رغب الإسلام في الزواج بصور متعددة فتارة يذكر أنه من سنن الأنبياء، كما في حديث الترمذي عن أبي أيوب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أَرْبَعٌ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ الْحَيَاءُ وَالتَّعَطُّرُ وَالسِّوَاكُ وَالنِّكَاحُ».

وتارة يذكره في معرض الامتنان ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾.

[سورة النحل: الآية ٧٢]

أحيانـاً يتحدث عن كونه آية من آيات الله ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[سورة الروم: الآية ٢١] وقد يتردد المرء في قبول الزواج فيحجم عنه خوفا من الاضطلاع بتكاليفه، وهروبا من احتمال إعبائه، فيلفت الإسلام نظره إلى أن الله سيتحمل عنه هذه الأعباء ويمده بالقوة التي تجعله قادرا على التغلب على أسباب الفقر

﴿وَأَنكِحُوا ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[سورة النور: الآية ٣٢].

روى الترمذي وابن ماجه عن ثوبان ﷺ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ أُنْزِلَ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ مَا أُنْزِلَ لَوْ عَلِمْنَا أَيُّ الْمَالِ خَيْرٌ فَنَتَّخِذَهُ فَقَالَ: «أَفْضَلُهُ لِسَانٌ ذَاكِرٌ وَقَلْبٌ شَاكِرٌ وَزَوْجَةٌ مُؤْمِنَةٌ تُعِينُهُ عَلَى إِيمَانِهِ» وروى الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «أَرْبَعٌ مَنْ أُعْطِيَهُنَّ أُعْطِيَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ: قَلْبًا شَاكِرًا، وَلِسَانًا ذَاكِرًا، وَبَدَنًا عَلَى الْبَلاءِ صَابِرًا، وَزَوْجَةً لا تَبْغِيهِ خَوْنًا فِي نَفْسِهَا وَلا مَالِهِ». وروي عَنْ عَبْدِ اللهَّ بن عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ» وقد يخيل للإنسان في لحظة من لحظات اليقظة الروحية أن يتبتل وأن ينقطع عن كل شأن من شئون الدنيا فيقوم الليل ويصوم النهار ويعتزل النساء ويسير في طريق الرهبانية المنافية لطبيعة الإنسان، فيعلمه الإسلام أن ذلك مناف لفطرته ومغاير لدينه، يقول رسول الله ﷺ في هذا الشأن: «إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهَّ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» وقال النبي ﷺ: «مَا اسْتَفَادَ الْمُؤْمِنُ بَعْدَ تَقْوَى اللهَّ خَيْرًا لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ إِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ وَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْهَا أَبَرَّتْهُ وَإِنْ غَابَ عَنْهَا نَصَحَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ».

فالزواج هو أحسن وضع طبيعي وأنسب مجال حيوي لإرواء الغريزة وإشباعها، فيهدأ البدن من الاضطراب وتسكن النفس عن الصراع، ويكف النظر عن التطلع إلى الحرام، وتطمئن العاطفة إلى ما أحل الله. وهذا هو ما أشارت إليه الآية الكريمة ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[سورة الروم: الآية ٢١] والزواج هو أحسن وسلة لإنجاب الأولاد لاستمرار الحياة مع المحافظة على الأنساب التي يوليها الإسلام عناية فائقة، وقد قال الرسول ﷺ «تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ إِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأَنْبِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وفي كثرة النسل من المصالح العامة والمصالح الخاصة ما جعل الأمم تحرص أشد الحرص على تكثير سواد أفرادها، بإعطاء مكافآت تشجيعية لمن كثر نسله وزاد عدد أبنائه. وقديما قيل: «إنما العزة للكاثر» ولا تزال هذه حقيقة قائمة لم يطرأ عليها ما ينقضها.

- مما يؤكد ذلك ما جاء في تقرير هيئة الأمم المتحدة الذي نشرته صحيفة الشعب الصادرة يوم السبت ٦/ ٦/ ١٩٥٩ أن المتزوجين يعيشون مدة أطول مما يعيشها غير المتزوجين سواء كان غير المتزوجين أرامل أم عزابا من الجنسين، وجاء في التقرير أن الناس بدءوا يتزوجون في سن أصغر في جميع أنحاء العالم. وقد بنت الأمم المتحدة تقريرها على إحصائيات تمت في جميع أنحاء العالم خلال عام ١٩٥٨م بأكمله وبناء على هذه الإحصاءات جاء التقرير:

إنه من المؤكد أن معدل الوفاة بين المتزوجين من الجنسين أقل من معدل الوفاة بين غير المتزوجين وذلك في مختلف الأعمار. يستطرد التقرير قائلاً: وبناء على ذلك يمكن القول بأن الزواج شيء مفيد صحيًا للرجل والمرأة على السواء، حتى إن أخطار الحمل والولادة قد تضاءلت فأصبحت لا تشكل خطرًا على حياة الأم وقال التقرير:

أن متوسط سن الزواج في العالم كله اليوم هو ٢٤ سنة للمرأة و٢٧ للرجل وهو سن أقل من متوسط سن الزواج منذ سنوات.

- **نلاحظ من خلال هذا التحليل أنه سوف** يختلف عن نظرية مالتس في السكان التي تبعد عن الدين وترك العلاقة بين الرجل والمرأة مباحة وفوضى حتى إنه في انتقادها نرى الناقدين لها قد عابوا عليها البعد عن الدين وفيما يلي عرض للنظرية والانتقادات الموجهة إليها:

ثانيا: نظرية مالتس في السكان

ويعتبر مالتس أحد أربعة من كبار الاقتصاديين الكلاسيك: وهم سميث ومالتس، ريكاردو، وجون ستيوارت ميل.

حيث أثروا علم الاقتصاد بفكرهم المادي، وأثروا فيه

- وقد أثر في نشوء هذه النظرية عوامل منها:

بدايات الثورة الصناعية في انجلترا رغم ما حدث بعد ذلك من تقدم في كافة المجالات الصناعية والزراعية.